المقدمة

مقدمة المؤلف

إن البحث حول خصائص العالم الإسلامى وتحولاته التاريخية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية وخاصة تلك التى ارتبطت بمسيرة الأحداث فى القرنين الأخيرين والمصاعب المتعلقة بازدواجية الرؤية فى الحضارة البرجوازية الغربية يعتبر أمراً صعباً؛ بل ومن المستحيل إنجازه بالنسبة لباحث يعيش فى إيران ويستقى معلوماته من المصادر الموجودة فى المكتبات الإيرانية فقط.

ولحسن الحظ فإن الأنظار قد تحولت خلال العقود الأخيرة تجاه المتغيرات التى تحدث فى منطقة الشرق الأوسط، ولكنه من الواضح أن أمامنا طريقاً طويلاً جداً حتى نصل إلى مصادر أصلية وأبحاث قائمة على أسس بحثية صحيحة حول العالم الإسلامى.

ولهذا السبب فإننا فى مسيرة البحث حول الماسونية فى العالم الإسلامى نجد أنفسنا مضطرين للاستفادة من المراكز البحثية العلمية فى الدول الأخرى من ناحية، ومن ناحية أخرى فنحن فى حاجة شديدة إلى مساعدة الأصدقاء المعنيين بمثل هذا النوع من الأبحاث، ولحسن الحظ استطعت أن أستفيد من كلا الاتجاهين.

وفى البداية أرى أنه لزاماً على أن أتوجه بشكرى إلى العالم المتعمق

السيد/ عبد الحسين حائرى رئيس مكتبة مجلس الشورى الإسلامى فلولا تسهيلاته ومساعداته وتحمله للمتاعب البحثية - ذلك التحمل الذى لا يمله ولا يكله لكنت بالقطع قد واجهت مصاعب ومشاكل كثيرة فى إنجاز هذا البحث الذى بين يدى القارئ، كما أتوجه بشكرى أيضاً للسيد حجة الإسلام شيخ محمد مهدى خالص الذى عرفنى وأرشدنى إلى مصادر مفيدة كما أعارنى من فضله وكرمه تلك المصادر النادرة المثيل فى إيران.

كما أن هناك أصدقاء وزملاء وفضلاء كثيرين قدموا لى مساعدات جمة فى المراحل المختلفة التى مر بها هذا البحث أذكرهم هنا وأتوجه بشكرى لهم جميعاً.

١- السيد/ فرج الله أحمدى
طالب الدراسات العليا فى قسم التاريخ بجامعة مشهد.

٢- السيد الدكتور/ يان ريتشارد (Yann Richard)

عضو المركز القومى للبحوث العلمية (C.N.R.S.) فى باريس
٣- السيد/ منصور صفت كل
طالب بقسم التاريخ بجامعة مشهد
٤- السيد الدكتور/ مسعود فرنود
عضو هيئة التدريس بجامعة مشهد
٥- السيد الدكتور/ أحمد محامدى
خبير الكتب والمراجع الفارسية والإسلامية بجامعة كاليفورنيا فى بروكلين
٦- السيد الدكتور/ نريمان يلدا
خبير الإدارة الحكومية فى بروكلين

كما أننى وفقت فى جولاتى البحثية خلال العام الدراسى (١٣٦٥-٦٦ هـ.ش)(*) لأن أستفيد استفادة كبيرة من كثير من المكتبات النافعة مثل المكتبة المركزية فى جامعة كاليفورنيا فى بروكلين والمكتبة المركزية فى الجامعة الحكومية بسانفرانسيسكو ومكتبة معهد الدراسات الشرقية والإفريقية بجامعة لندن والمكتبة القومية ببكين فى الصين.

كما استفاد هذا البحث بشكل ملحوظ من المصادر القيمة الموجودة فى المكتبات الإيرانية مثل مكتبة حرم القدس الرضوى بمشهد ومكتبة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة مشهد ومكتبتى مجلس الشورى الإسلامى ومكتبة آية الله مرعش فى قم، وانتهز الفرصة هنا وأتوجه بشكرى إلى جميع موظفى هذه المكتبات ومختصيها.

وأحب أن أنوه هنا إلى أن التواريخ المذكورة فى الكتاب قد وردت بالتقويمين الهجرى القمرى والميلادى، لكن التواريخ التى بدأت من ١٣٠١ والتى وردت بعدها كلمة «شمسى» قد ذكرت ومعها التاريخ الميلادى، كما أن الأسماء الأجنبية كتبت لأول مرة بالحروف الفارسية واللاتينية ثم إذا تكررت بعد ذلك تذكر بحروفها الفارسية وأذكر هنا أن ما تم جمعه فى هذا البحث هو من نتاج مساعدات محبى الدراسات التاريخية، كما أنه من الواضح أن كل نقص وعيب وقصور يعود إلى كاتب هذه السطور.

عبد الهادى حائرى
ذو الحجة ١٤٠٨ هـ
أغسطس ١٩٨٨م

تقديم (تصدير) (تمهيد):

مصطلح «الماسونية»

وحدود البحث وآفاقه.

منذ مدة طويلة وكلمة «الماسونية» معروفة فى اللغة الفرنسية ولها شهرة كبيرة، ونفس الكلمة تقريباً تستخدم فى اللغة الفارسية ولكنها تكتب (Franc-ma,com) ونفس هذه الكلمة تستخدم أحياناً فى الفارسية مع قليل من التغيير والمعنى الأصلى لهذا المصطلح يمكن تفسيره بصور مختلفة فعلى سبيل المثال فإن الحرفى أو البناء الذى يعمل بشكل حر ويستخدم فى عمله للحجارة المنحوتة أدوات حرفية مثل القدوم والشاكوش والبلطة والمسطرين يطلق عليه اسم «فريماسون» نظراً لأن مثل هذه الحجارة المنحوتة تسمى فى اللغة الإنجليزية «فرى ستون» (Freestoon)(١)، كما أنه من المحتمل أن هؤلاء الحرفيين قد أطلق عليهم اسم «الأحرار» (Free) نظراً لأنه فى عصر حكم الأنظمة الإقطاعية فى أوروبا كان هؤلاء الحرفيون أحراراً فى عملهم يسافرون إلى أى مكان فى بلادهم يكون فى حاجة إلى خدماتهم ويعملون هناك(٢):

ولأن هؤلاء الحرفيين كانوا على أهمية كبيرة من الناحية الصناعية والفنية والمجتمع فى حاجة ماسة إليهم كانوا يرون أنه من الواجب عليهم أن يحافظوا على أسرار مهنتهم فيما بينهم وأن تكون لهم رموز وإشارات خاصة تشير كل منها إلى أهل حرفة معينة حيث انضموا إلى النقابات والاتحادات المهنية والعمالية التى كانت تتميز بالسرية والتخفى، وهذا النوع من النقابات والاتحادات الماسونية السابقة سمى بعد ذلك «بالماسونية العملية» (Operative Mosonary) ومن الواضح أن هذا الأسلوب من الحديث يرتبط بمسيرة الأحداث التاريخية فى القرون الوسطى، ولكن فى القرون التالية أخذ البناءون والحرفيون الأحرار فى نقل مكانتهم الاجتماعية فى المحافل من الأقلية إلى الأكثرية بين الأغنياء وعلية القوم والعلماء والمفكرين، ومنذ ذلك للتاريخ بدأت المحافل «الماسونية النظرية» (Speculative Masonary) فى الظهور.

وقد جعلت هذه الماسونية بأسلوبها الجديد عنوانها العلانية ولكن كانت لها برامج وتحركات خفية وسرية ومازالت وحكمتها أهداف ومواثيق وعلامات ومراسم وآداب(٣) يرى كثير من الكتاب أنها نبعت واستلهمت من جذور يهودية(٤) وحول الجذور التاريخية للماسونية ظهرت حكايات وروايات كثيرة ومنها ما يربط هذه الجذور بمعبد سليمان وهندسة إقليدس، ولكن

التاريخ يثبت أن وجود هذه الحركات كنتاج لازدواجية الرؤية فى الحضارة الغربية البرجوازية قد بدأ منذ عام ١٧١٧م ١١٣٠هـ، وكان الإنجليز هم الذين بدأوها ففى نفس العام اتحدت أربعة محافل إنجليزية وكونت فيما بينها محفلاً كبيراً (Grand Hodge) ازدادت أهميته وانتشاره يوماً بعد يوم(٥)، ومنذ بداية هذا التاريخ بدأت مسألة الماسونية ومعها الكثير من مصطلحاتها تظهر فى الكثير من الكتابات الفارسية كما استخدمت كلمة «فراموش» فى الفارسية بنفس المعنى فقد ذكرها ميرزا صالح الشيرازى الذى كان نفسه أحد الماسون فى العشرينات من القرن التاسع عشر باسم «فراموشخانه» وظل الوضع هكذا حتى قام الماسونى الشهير الإيرانى ميرزا ملكم خان ناظم الدولة بتأسيس محفل سرى فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر. وأطلق على هذا المحفل اسم «فراموشخانه».

والسبب فى استخدام كلمة «فراموش» للإشارة إلى المحافل السرية الماسونية فى إيران تحدث عنه لأول مرة عبد اللطيف الشوشترى فى سنة ١٢١٦هـ/١٨٠١م حيث كتب إن الهنود والمتحدثين بالفارسية فى الهند يطلقون على هذه الجماعة اسم «فراموشى» ويضيف قائلاً إن هذا الاسم لا يخلو من طرافة لأن من ينتسبون لهذه الجماعة كلما سئلوا عن شئ أجابوا بقولهم «لقد نسينا»(٦).

وقد ظهرت فى العقود التالية كتابات باللغة الفارسية حول مسيرة الماسونية وسوابقها التاريخية فى إيران وكثير من دول العالم الأخرى(٧) ولكن يبدو أنه لم تظهر فى اللغة الفارسية أبحاث وكتابات عن الحركات الماسونية فى الدول الإسلامية الأخرى وخصائص وأسس هذه الحركات. ويجب أن نضيف هنا أنه على حد علمنا فإنه لم يظهر حتى الآن كتاب قائم على اسس بحثية حول الماسونية فى العالم الإسلامى كله حتى باللغة العربية أو الفرنسية أو الإنجليزية، ولهذا السبب فإننا ننوى فى هذا البحث بعد إلقاء نظرة قصيرة على دوافع ظهور هذه الحركة السرية والكثير من أدوارها التاريخية فى الدول الغربية أن نتحدث عن تاريخ الماسونية فى إيران وتركيا والدول العربية والهند واندونيسيا ونحاول أن نبحث فى التحركات الماسونية فى علاقتها بمسيرةُ الأحداث والتغيرات الاجتماعية والسياسية لهذه الدول.

ببليوجرافيا البحث:

فى الفصل الأول من هذا البحث سوف نتحدث عن صعوبات كتابة تاريخ الحركة الماسونية ولكن سوف يكون من المفيد أن نورد هنا بعض المعلومات عن الكتب التى أفدنا منها فى هذا البحث.

فمنذ عدة سنوات كتبنا مقالة بعنوان (Framushkhana) (فراموشخانة) فى الطبقة الثانية من (The Encyclopaedia of Islam) (دائرة المعارف الإسلامية).

حول مسيرة الماسونية فى إيران منذ البداية حتى السنوات الأخيرة ونوردها هنا بترجمتها

الفارسية مع الزيادة والتنقيح ومن الواضح أنه بسبب ظهور كتابات كثيرة فى العقود الأخيرة - رغم أنها غير دقيقة وبعيدة عن الأسس البحثية - فإن معلوماتنا حول الماسونية فى إيران تعتبر أوسع بكثير بالقياس إلى ما نعرفه عن الماسونية فى الدول الإسلامية الأخرى ولهذا السبب فإنه لتناول هذا الجانب من البحث كان علينا أن نستفيد من الكثير من المصادر الفريدة مثل مذكرات الماسونيين أنفسهم أو الوثائق المكتشفة حديثا أو حتى تلك المعلومات التى ترد فى أدب الرحلات والجولات التى يقوم بها الماسونيون.

أما فيما يتعلق بالكتب المتعلقة بالماسونية فى الدول الإسلامية الأخرى فبالإضافة إلى الصعاب الموجودة فى مجال البحث حول الماسونية فإننا لم نستطع أن نتوصل إلى كل هذه المصادر والكتابات التى ظهرت حتى الآن وأعلن عنها وأصبحت فى متناول الجميع، ومع هذا كله فإن ما استطعنا أن نتحصل عليه خلال التردد على المكتبات المختلفة فى إيران وأمريكا وإنجلترا والصين فى هذا المجال قد ساعدنا بالقدر الذى نستطيع أن نعرف القراء بموضوع البحث إلى حد ما.

ويعتبر كتاب «تاريخ الماسونية العام» لمؤلفه جورجى زيدان والذى نشر لأول مرة فى سنة ١٣٠٧هـ/١٨٨٩م أحد الكتب التى كانت دائماً موضع استفادة الباحثين عند تناول تاريخ الماسونية فى العالم العربى وتركية، وربما ترجع أهمية هذا الكتاب بشكل أكثر إلى أن مؤلفه نفسه كان ماسونياً وأن معلوماته جديرة بالإطلاع حتى لو لم تكتب بأسلوب جزل وعبارات سلسة، كما أن المؤلف نفسه كان يعيش فى زمن حدثت فيه الكثير من الأحداث المرتبطة بالماسونية ونحن سوف نستفيد من هذا الكتاب فى بحثنا هذا فى أماكن كثيرة ومواضع مختلفة، ولكن من الواضح أن هذا الكتاب لم يتتبع تحركات وتطورات الماسونية وتفرعها حتى القرن العشرين وحتى الوقت الحالى، ولذلك فإن كتاب «الماسونية فى الوطن العربى» للكاتب العراقى «نجدة فتحى صفوة» والكتاب الآخر لنفس المؤلف والذى كتبه باللغة الإنجليزية واللذين كتبا حول الماسونية فى العالم العربى منذ نشأتها حتى اليوم وكذلك فصل من المجلد الثالث من كتاب «لمحات اجتماعية فى تاريخ الطرق» للمؤلف على الوردى والذى تعرض فيه لموضوعات حول الماسونية فى عدد من الدول العربية خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، ومقالة لنداو (Landau) فى الطبعة الثانية من «The Encyclopaedia of Islam» تحت عنوان «Farmasuniyya» والتى تحدث فيها عن الماسونية فى الامبراطورية العثمانية - تركيا والعالم العربى - كل هذه الكتب قد ساعدت كاتب هذه السطور على أن ينظر للإطار العام لهذا البحث الذى بين يدى القارئ.

ولكن هذه الكتب والأبحاث قصيرة ومجملة ومختصرة وتخلو من التحليل العميق حول الكثير من شخصيات وهيئات ومنظمات الماسونية وبالإضافة إلى هذا فإن كتابها لم يهتموا فى تحقيقاتهم البحثية بجميع الأراضى الإسلامية بشكل كامل وشامل ولهذا فإننا لكى نتناول مسيرة

الحركات الماسونية فى مجال أوسع وأرحب من العالم الإسلامى خلال القرنين الأخيرين فإننا سوف نستفيد من كتب ومقالات أخرى ومنها كتاب جولد (Gould) المشهور الذى ظل لأكثر من مائة عام موضعاً لاستفادة الخبراء والعلماء والباحثين حيث خصص جانب كبير منه لحركات الماسونية فى مصر والهند، كما أن ما كتبه الماسونى الهندى المدعو جوبتا (Gupta) فى تاريخ الماسونية فى الهند قد أفادنا فى بحثنا هذا كثيراً.

وكما ذكرنا من قبل فإن هدفنا هو إظهار دور الماسونية فى التغييرات الاجتماعية والسياسية، ولكن الكاتبين المذكورين بسبب ارتباطهما الشخصى والانتمائى لحركة الماسونية لم يهتما بهذا الجانب كثيراً وحددا تنسيهما بشكل أكثر فى تقرير الأحداث الداخلية المحفلية للمحافل الماسونية ولهذا فإننا لكى نتناول العلاقة بين هذه الأحداث الداخلية فى المحافل والتغييرات الاجتماعية والسياسية فإننا سوف نستفيد من مصادر المعلومات الأخرى التى ظهرت حول الهند، وحول الماسونية فى إندونيسيا وصل إلى أيدينا بحثان قيمان وهما نتاج أبحاث جادة مثابرة لكل من «وان درفيور» (Van der vear) وجين تيلر (Jean G. Taylor) وسوف نستفيد فى الفصل التاسع من هذين البحثين بشكل واسع.

وللتعرف أكثر على الشخصيات والمنظمات الماسونية البارزة سواء فى العالم العربى أو تركيا فإننا كنا في حاجة إلى معلومات أكثر وأوسع من تلك التى وردت فى المراجع والكتابات التى ذكرناها آنفاً. وهناك عدد كبير من الشخصيات البارزة والسياسيين والمفكرين والزعماء فى البلاد الإسلامية سقطوا فى مستنقع الماسونية لحسن الحظ استطعنا أن نحصل على معلومات عديدة حول النشاط الماسونى لكثيرين منهم وكانت أهم المعلومات جميعاً فى هذا الشأن تلك التى حصلنا عليها من مجموعة المستندات والوثائق التى لم تنشر حول السيد جمال الدين المشهور بالافغانى «مجموعة اسناد ومدارك جاب نشده دربارة سيد جمال الدين مشهور به افغانى»، والتى جمعت ونشرت بجهود كل من أصغر مهدوى وايرج افشار. ويحوى هذا الكتاب كثيراً من الوثائق الخاصة بالنشاط الماسونى للسيد جمال الدين الأسد أبادى المشهور بالأفغانى والتى كتبت معظمها بخط الأفغانى نفسه وقد قمنا بتحقيقها وتحليلها فى هذا البحث، كما استفدنا أيضاً فى هذا الموضوع كتاب مذكرات حول جمال الدين الأفغانى «خاطرات سيد جمال الدين» تأليف محمد المخزومى الذى كان معاصراً للأفغانى ومغرماً به على الرغم من أن هذا الكتاب لا يعتبر من أدق مصادر المعلومات حول الأفغانى، ويعتبر عبد الله ألبرت قدس زاده (A. Albert Kudsi-zadeh) من المتخصصين فى حياة الأفغانى وأفكاره فقد قام بتأليف عدة ابحاث حول الأفغانى وأفكاره ونشاطه السياسى حتى رسالته التى تقدم بها لنيل درجة الدكتوراه كانت فى نفس الموضوع كما أنه قام بنشر مقالة قيمة قائمة على الوثائق المحققة حول علاقة الأفغانى بالماسونية والتى استطعنا أن نحصل على نسخة منها لنستفيد بها فى هذا البحث ومما يذكر ان كثيرين من أتباع الأفغانى وأصدقائه قد انضموا إلى حلقة الماسونيين بتوجيه منه وكان

أشهرهم على الإطلاق الشيخ محمد عبده، وفى هذا الموضوع كانت مقالة تلميذه الشهير سيد محمد رشيد رضا والتى نشرها فى مجلة المنار فى سنة ١٩٠٥م/١٣٢٣هـ أكثر فائدة لنا فى هذا الموضوع من أى مصدر آخر للمعلومات، وذلك لأن معظم ما قاله رشيد رضا فى هذه المقالة يقوم على معلومات حصل عليها هو شخصياً من الشيخ محمد عبده، والجدير بالذكر أن السيد الأفغانى وأتباعه انضموا إلى جماعة الماسون فى ذلك الوقت الذى راجت فيه بشدة سوق حركة الماسونية فى مصر.

ولحسن الحظ فإن السيد لنداو قد ناقش فى بحث منفصل طويل النشاط الماسونى لتلك الفترة الخاصة - من بداية حكم الخديو إسماعيل (١٨٧٩: ١٨٩٢م/١٢٨٠: ١٢٩٧هـ) حتى السنوات الأولى من حكم الخديو توفيق (١٨٧٩: ١٨٩٢م/١٢٩٧: ١٣١٠هـ) وهى نفس المقالة التى تحصلنا منها على معلومات كثيرة حول العلاقة القوية التى كانت تربط عبد الحليم باشا عم الخديو اسماعيل بالماسونية وتوسله بهذه الحركة فى محاولته للاستيلاء على التاج والعرش من خديوى مصر.

وقد استفدنا من هذه المقالة التى تقوم على عدد كبير من المستندات والوثائق الفردية فى مواضع كثيرة من هذا البحث ويعد الأمير عبد القادر الجزائرى أيضاً أحد الوجوه والشخصيات البارزة فى العالم العربى التى انضمت إلى دائرة الماسون حتى أن عددا من الكتاب العرب والفرنسيين كتبوا أبحاثاً حول كيفية انضمامه للماسونية، ولحسن الحظ استطعنا أن نحصل على عدد من هذه الأبحاث ومنها كتابات محفوظ كداش (Mahfuid Kaddash)، كزاوية ياكونو (Xavier Yacono) ومارسيل اميريت (Marcel Emerit) واستفدنا منها فى هذا البحث.

وعلى ما يبدو أن الماسونية فى تركيا لم تلفت انتباه كثير من الباحثين ومع هذا فقد حصلنا على معلومات متفرقة مستقاة من أبحاث قام بها العلماء المتخصصون فى الشئون التركية (الدراسات التركية) مثل نيازى بركس (Miyozi Barkes) وشريف ماردين (Serif Mardin) والمتخصصون الأجانب فى الدراسات التركية أيضاً مثل برناردر لويس (Bernard Lewies) وفيروز أحمد وارنست رامسور (Ernest Ramsaur)، وعلى أساس هذه الأبحاث استطعنا أن نفحص الكثير من تقارير السفارة الإنجليزية فى اسطانبول حول علاقة الثورة النيابية فى تركيا «تركيا الفتاة» (تركان جوان) والتى حدثت فى عام ١٩٠٨م/ ١٣٢٦هـ)(٨).

وبشكل عام استفدنا من كل هذه الكتابات التى دارت مباشرة حول مسيرة النشاط الماسونى فى جميع أنحاء العالم الإسلامى والتى نشرت فى كثير من المصادر والمراجع الأخرى حتى نوضح للقراء تلك الخصائص التى تميز بها النشاط الماسونى فى مسيرة الأحداث التاريخية.

هوامش التمهيد

١- William James Hugan, et al, «Freemasonry», EB, Vol ٩ (١٩٦١), P. ٧٣٢.

٢- E.L. Hawkins, «Freemasonry», Encyclopedia of Religion and Ethics, Vol ١١(١٩٨١), P. ١١٩.

٣- Roy Baber Harris, Freemasonry», ;٧٣٦-٧٣٢ .Hughan, «Freemasonry», pp United States, EB, Vol ٩(١٩٦١), pp. ٧٣٦-٧٣٧.

٤- على سبيل المثال انظر - مجهول المؤلف - جهان زير سلطه صهيونيزم (تهران ١٣٦١ شمسى)؛ محمد عبد الله عنان، تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة الترجمة الفارسية لعلى هاشمى حائرى (تهران، ١٣٥٨ شمسى).

٥- Freemasonry «Hughan, «Freemasonry», Hawfis,».

٦- مير عبد اللطيف خان شوشترى، تحفة العالم وذيل التحفة، به كوشش حمد موحد (تهران، ١٣٦٣ شمسى)، ص ٢٥٨.

٧- انظر ببليوجرافيا البحث.

٨- لمعلومات أكثر حول مؤلفات ومقالات هؤلاء الكتاب أنظر خاتمة المؤلفين فى نهاية البحث.